الفصل التاسع: الأمور التي ينبغي أن يعرفها

المتعلم لصناعة المنطق

(51) وبعد هذا ينبغي أن نعدّد الأمور التي ينبغي أن يعرفها المتعلّم في افتتاح/ كلّ كتاب. وتلك فليس يعسر عليك معرفتها من تعديد المفسّرين الحدث لها . وهي غرض الكتاب ومنفعته [وقسمته ونسبته ومرتبته] وعنوانه واسم واضعه ونحو التعليم الذي استعمل فيه. ويعنى بالغرض الأمور التي قصد تعريفها في الكتاب. ومنفعته هي منفعة ما عرف من الكتاب في شيء آخر خارج عن ذلك الكتاب. [ويعنى بقسمته عدد أجزاء الكتاب] [مقالات كانت أو فصولا أو غير ذلك ممّا يليق أن يؤخذ ألقابا لأجزاء الكتاب] من فنون أو [أبواب أو] ما أشبه ذلك وتعريف ما في كلّ جزء منه . ونسبة الكتاب يعنى بها تعريف الكتاب من أيّ صناعة هو. والمرتبة [يعنى بها مرتبة الكتاب من تلك الصناعة أيّ مرتبة هي]، هل هو جزء أوّل في تلك الصناعة أو أوسط أو أخير أو في مرتبة منها أخرى. وعنوانه هو معنى اسم الكتاب. وأمّا اسم واضع الكتاب فمعناه بيّن. فأمّا نحو التعليم فقد بيّنّا نحن معناه آنفا. وكلّ واحد من هذه متى عرف كان له غناء في تعليم ما في الكتاب. ومعرفة غنائها فليس تعدمها في تفاسير الحدث ، فإنّ عناية أكثرهم مصروفة إلى [التكثير] بأمثال هذه الأشياء. ونحن فقد خلّينا أمثال هذه الأشياء لهم. وأرسطاطاليس والقدماء من شيعته يستعملون من هذه الأشياء في افتتاح كلّ كتاب مقدار الحاجة، وربّما لم يستعملوا منها شيئا أصلا. وفي أكثر الكتب فلا يكاد أرسطاطاليس يخلّ [بمعظم ما] يحتاج إليه من هذه، وذلك هو الغرض والمنفعة. وكثيرا/ ما يذكر النسبة والمرتبة، وربّما ذكر معها نحو التعليم الذي يستعمله في الكتاب.

(52) وقد قيل في الكتاب الذي قدّم على هذا الكتاب أيّ قوّة يفيدها صناعة المنطق وأيّ كمال [يكسبه الإنسان بها] . وهذه القوّة وهذا الكمال إنّما يحصل بالوقوف على جميع الجهات والأمور التي بها ينقاد الذهن [إلى أنّ الشيء هو كذا أو ليس هو كذا، أو بالوقوف على أصناف انقيادات الذهن] كم هي وعلى كم جهة هي وبالوقوف على أصناف الجهات وأصناف الأمور التي صنف صنف منها [سبب لصنف] صنف من. أصناف انقيادات الذهن.

[وأصناف انقيادات الذهن كثيرة. منها انقياد الذهن] للشيء [عن طريق] ما ينقاد [عن الأشياء الشعريّة. ومنها انقياده للشيء على جهة انقياده] عن الأقاويل المشوريّة والأقاويل التي تؤخذ فيها [ما] يمدح به الإنسان أو يهجى ، وعلى مثال ما ينقاد عن الأقاويل الخصوميّة والمعاتبات والشكاية والاعتذار وما جانس هذا ، وهذا الصنف هو الانقياد الخطبيّ. ومنها انقياد الذهن للمغالطات الواردة [عليه]. ومنها انقياده للشيء على طريق الجدل. ومنها انقياده لما هو حقّ يقين.

(53) وكلّ صنف من هذه الانقيادات له أمور خاصّة تسوق الذهن إليه.

والأمور التي تسوق الذهن إلى أن ينقاد للشيء بطريق الانقياد الشعريّ غير الأمور التي تسوقه إلى أن ينقاد للشيء [بطريق خطبيّ، وكذلك الأمور التي تسوقه إلى أن ينقاد للشيء] بمغالطة غير الأمور التي تسوقه إلى أن ينقاد بطريق الجدل، والأمور التي تسوقه إلى [أن] ينقاد لما هو حقّ يقين/ غير التي تسوقه إلى أن ينقاد للشيء بالطرق الأخر. وسنبيّن فيما بعد أنّ الذهن ليس له انقياد آخر سوى هذه الخمسة. فيلزم إذن أن تكون أصناف الأمور السائقة إلى هذه الخمسة [هي] [خمسة أصناف] . وهذه الأصناف كلّها تجتمع في أنّها انقياد الذهن. وانقياد الذهن هو أمر يعمّها كلّها على مثال ما يعمّ الجنس للأنواع وعلى مثال ما يعمّ الشيء المطلق لما [فيه شرائط] وعلى مثال ما يعمّ المجمل الأشياء المفصّلة. فإنّ انقياد الذهن على الإطلاق كأنّه جنس لأصناف الانقيادات، كما أنّ الحيوان هو جنس لأصناف الحيوانات.

أو كأنّ انقياد الذهن على الإطلاق هو مطلق وأصنافه مقيّدة بشرائط، فإنّ صنفا منها هو انقياد شعريّ والآخر [هو انقياد] خطبيّ،

وكذلك كلّ واحد من ســـائر الباقية هو مقيّد بحال ما، كما أنّ الحيوان هو مطلق وأصـــنافه حيوان بشـــرائط، فإنّ منها ما هو حيوان ناطق ومنها ما هو حيوان صـهّال، وكذلك سـائر أصـنافها . أو [كأنّ] انقياد الذهن على الإطلاق هو انقياد مجمل وأصـنافه انقيادات مفصّـلة، كما أنّ الحيوان هو جملة أو مجمل وأصـــنافه حيوانات مفصّـــلة، مثل الإنسان والفرس والثور والغراب.

(54) ولمّا كان انقياد الذهن منه عامّ ومنه مفصّل، وكان العامّ عامّا لتلك المفصّـلات، لزم أن تكون الأمور السـائقة للذهن إلى الانقياد منها أمور عامّيّة تســـوق إلى الانقياد المطلق وأمور مفصّـــلة تســـوق إلى الانقيادات المفصّـــلة. وكما أنّ الانقيادات/ المفصّـــلة [تحت الانقيادات المطلقة، كذلك الأمور المفصّلة السائقة إلى الانقيادات المفصّلة] تحت الأمور العامّيّة السـائقة إلى الانقياد المطلق. والأمور التي توجد مطلقة وتوجد مفصّـــلة فإنّ معرفة المطلق منها والمجمل العامّ تتقدّم معرفة الأمور التي تخصّ واحدا واحدا من المفصّلات.

مثـال ذلـك معرفتنـا أنّ الحـائط هو من لبن أو [من] حجـارة قبـل معرفتنـا أنّ حـائط كـذا هو من حجـارة كـذا أو لبن كـذا. وكـذلـك في صناعة الكتابة، فإنّ علمنا أنّ الخطّ على الإطلاق هو بالجملة من [ألف وباء وتاء] قبل معرفتنا أنّ الخطّ المحقّق شكل ألفه كذا وشكل بائه كذا، والخطّ الرئاسيّ شكل ألفه كذا و(شكل) بائه كذا. وكذلك الأمور العامّيّة التي تســـوق الذهن إلى الانقياد المطلق تتقدّم معرفتنا بها معرفتنا أنّ صنف كذا [من الانقياد] يسوق إليه صنف كذا من الأمور.

(55) والأمور العـامّيّـة المطلقـة التي تســـوق الـذهن إلى الانقيـاد المطلق تسمّى المقاييس والقياسات. وأصناف تلك الأمور العامّة التي يسوق صنف صنف منها إلى صنف صنف من انقيادات الذهن تسمّى أصناف المقاييس وأنواع المقاييس. وما كان من هذه الأصناف يسوق الذهن إلى الانقياد الشـــعريّ فهي المقاييس الشـــعريّة، ويضـــاف إليها الأمور التي بها تلتئم وتنفذ هذه المقاييس. وما كان منها يســـوق الذهن إلى الانقياد الخطبيّ فهي المقاييس الخطبيّة، ويضاف إليها الأمور التي بها تلتئم وتنفذ هذه المقاييس . وما كان منها يسوق/ الذهن إلى انقيادات المغالطات الواردة عليه فهي المقاييس المغالطيّة، ويضـــاف إليها الأمور التي بها تلتئم وتنفذ هذه المقاييس- مثل الاحتيالات التي يحتال بها على المجيب حتّى يلتبس عليه موضـــع المغالطة، وما ينبغي

للمجيب أن يستعمل في تلقّي ما يرد عليه من المغالطات وإحراز اعتقاده عن أن يظنّ به أنّه باطل أو ينخدع بمغالطة . وما كان منها يسوق الذهن إلى الانقياد الجدليّ فهي المقاييس الجدليّة، ويضاف إليها الأمور التي بها تلتئم وتنفذ هذه المقاييس، وهي الاحتيالات التي يحتال بها على المجيب حتّى يلتبس عليه المقصود معاندته من اعتقاده فلا يتحرّز، والحيل التي يستعملها المجيب في تلقّي ما يرد عليه من السائل فيتحرّز بها ويمنع السائل عن تنفيذ مقاييسه . و[المقاييس] التي تسوق الذهن إلى الانقياد لما هو حقّ يقين [تسمّى البراهين] والمقاييس اليقينيّة، ويضاف إليها الأمور التي [بها] تلتئم البراهين والأمور التي يسهل على الذهن السبيل إلى الوقوف على البراهين والتي بها يستعين الإنسان من خارج على الوصول إلى الحقّ. والمقصود الأعظم [من] صناعة المنطق هو الوقوف على البراهين. وسائر أصناف المقاييس إذا عرفت وتميّزت عند الإنسان عن البراهين [وقف بتلك] على ما ينبغي أن يستعمله إذا قصد الاعتقاد الحقّ، وما ينبغي أن يتجنّبه .

وبالجملة فإنّه يتبيّن أنّ قوّة الذهن التي حدّدناها في الكتاب الذي قبل هذا إنّما تحصل بالوقوف على هذه الأصناف التي عدّدناها هاهنا.

(56) والمقاييس/ بالجملة هي أشياء ترتّب في الذهن ترتيبا ما متى رتّبت ذلك الترتيب أشرف [بها الذهن] لا محالة على شيء آخر قد كان يجهله من قبل فيعلمه الآن، ويحصل حينئذ للذهن انقياد لما أشرف عليه أنّه كما علمه.

وبيّن أنّ الأشياء التي ترتّب فيشرف بها الذهن على شيء كان يجهله قبل ذلك فيعلمه ليست [هي] ألفاظا ترتَّب، إذ كان ما يشرف به الذهن بهذا الترتيب هو ترتيب أشياء في الذهن، والألفاظ إنّما ترتّب على اللسان فقط.

وأيضا فإنّ الألفاظ لو أمكن أن ترتّب في النفس هذا الترتيب لكان الذي [إليه يتخطّى] الذهن عمّا رتّب هذا الترتيب فيعرفه هو أيضا لفظ ما لا معنى معقول، إذ كان ما يتخطّى إليه الذهن عن الذي رتّب هذا الترتيب له تعلّق بالأشياء التي رتّبت، وليس يجوز متى رتّبت ألفاظ وحدها بلا معنى يعتقد منها أن يتعلّق بها على التوالي واضطرار معنى معقول أصلا. وإذا كان ما يتخطّى إليه الذهن عن الأشياء التي رتّبت معاني معقولة، وكانت هذه ليس يمكن أن يتخطّى إليها بألفاظ

[فقط] يسبق ترتيبها، فبالضرورة يلزم أن تكون الأشياء المرتّبة السابقة ليست ألفاظا .

وأيضا فإنّ الذهن لمّا كان إشرافه على [كلّ] شيء كان يجهله [من] قبل ذلك [إنّما يكون عن أشياء] سبقت معرفتنا بها، [والأشياء التي سبقت معرفتنا بها هي الأشياء التي تقدّمت] خيالاتها في النفس [واعتقد فيها أنّها حقّ، والتي سبقت خيالاتها في النفس] هي المعقولات عن الألفاظ لا الألفاظ ، [و] التي ترتّب/ فيشرف منها الذهن [هي] بهذه الحال، فبيّن أنّ الأشياء التي ترتّبت في الذهن ليست هي الألفاظ لكن معاني معقولة. وأيضا فإنّ الأشياء التي شأنها أن تعلم هي الأشياء التي شأنها أن تكون واحدة عند الجميع، والألفاظ الدالّة ليست واحدة بأعيانها عند الجميع ، فبيّن أنّ المقصود معرفته من الأشياء ليست هي [الألفاظ الدالّة] عليها.

فإذن ولا [ما يتخطّى عنه] الذهن هي [أيضا] ألفاظ مرتّبة، إذ كانت تلك أيضا يجب أن تكون قد علمت من قبل. وأيضا فإنّ الأشياء التي شأنها أن ترتّب هذا الترتيب هي الأشياء التي شأنها أن تؤخذ في الذهن بالطبع والضرورة ، والألفاظ الدالّة هي باصطلاح، فإذن لا شيء مما يرتّب هذا الترتيب هو [اللفظ الدالّ] على الشيء . وأيضا فليست الأشياء التي ترتّب في الذهن هذا الترتيب حتّى يكون عن ترتيبها قياس هي معان مقرونة بها ألفاظها الدالّة عليها، من قبل أنّه لا فرق بين أن يقال ذلك وبين أن يقال إنّها معان مقرونة بها الخطوط الدالّة عليها. وإذ كان [قد] تستعمل الإشارات والتصفيق وأشباه ذلك دالّة على المعاني المعقولة، فلا فرق بين أن يقال في [التي ترتّب] إنّها معان مقرونة بالألفاظ الدالّة عليها وبين أن يقال إنّها معان معقولة مقرونة بالخطوط الدالّة (عليها) أو بالإشارات الدالّة عليها.

فإن كانت الألفاظ [الدالّة] تصير متى رتّبت مقاييس، لزم أن يكون ترتيب الإشارات أيضا مقاييس لذلك السبب بعينه، أو تكون الخطوط كذلك.

و [كلّ] / ذلك ضحكة وهزؤ، (وقد تبيّن هذا أيضا بأشياء أخر كثيرة صحيحة يقينيّة) ، غير أنّ الموضع لا يحتملها إذ كان كثير منها يغمض على السامعين الذين هم في هذه المرتبة من الصنعة . وبعد ذلك فما حاجتنا إلى التطويل في ذلك وأرسطاطاليس نفسه يقول [في

كتاب البرهان هذا القول] : والبراهين ليست تكون عن النطق الخارج لكن عن النطق الداخل، وكذلك المقاييس. ولمّا كانت عادة أرسطاطاليس في كثير ممّا يعرّفه في أوائل هذه الصناعة أن يستعمل فيه نحو التعليم الذي يسمّى إبدال الألفاظ، غلط لذلك جلّ من تكلّف تفسير كتابه، [فظنّوا أن المقاييس وأجزاءها هي الألفاظ التي أبدلها أرسطاطاليس في التعليم مكان المعقولات ، إذ لم يكن أكثر المتعلّمين في وسعهم تخيّل المعقولات ولا كيف ترتَّب في الذهن، فأخذ ألفاظها الدالّة عليها بدلها إلى أن يقوى ذهن المتعلّم فينتقل منها إلى المعقولات. فقد تبيّن ممّا قيل أنّ المقاييس هي معقولات ترتّب في النفس متى ترتّبت ذلك الترتيب أشرف الذهن بها على شيء آخر قد كان يجهله من قبل فيعلمه الآن.

(57) فالقياس إذن هو أمر ما مركَّب وله أجزاء عنها يتركّب . وكثير من المركّبات التي لها أجزاء لأجزائها أيضا أجزاء، والمقاييس بهذه الحال- أعني أنّ لها أجزاء ولأجزائها أجزاء أيضا. فأجزاء أجزائها تسمّى الأجزاء الصغرى، وأجزاؤها أنفسها تسمّى الأجزاء العظمى. والحال في ذلك كالحال في البيت، فإنّه مركّب وله أجزاء وهي الحيطان والسقوف، وللحائط أجزاء وهي اللبن والطين، وللسقوف أجزاء وهي القصب/ والخشب، واللبن هو جزء جزء البيت، والحائط هو جزء البيت. فأجزاء المقاييس العظمى تسمّى المقدّمات. وأجزاء المقدّمات- وهي أجزاء أجزاء القياس وأجزاء المقاييس الصغرى- هي المعقولات المفردة، وهي المعاني التي تدلّ عليها الألفاظ المفردة، مثل قولنا إنسان، فرس، ثور، حمار، بياض، سواد، وما أشبه ذلك، فإنّ المعاني التي تدلّ عليها هذه الألفاظ وما أشبهها تسمّى المعقولات المفردة. وإذا تركّبت المعقولات المفردة حدثت مقدّمات، وهي معقولات ما مركّبة، وهي من جزءين مفردين. وهذه المعقولات المركّبة- وهي المقدّمات- هي التي تدلّ عليها الألفاظ المركّبة التي أحد جزئي المركّب منها مسند والآخر مسند إليه. وإذا تركّبت المقدّمات بعضها إلى بعض ورتّبت ترتيبا حدثت عنها المقاييس. ولمّا كانت الأمور العامّيّة التي تسوق الذهن إلى الانقياد المطلق تتقدّم معرفتها معرفة أصناف تلك الأمور، لزم أن تكون المقاييس على الإطلاق تتقدّم معرفة أنواع المقاييس وأصناف الأمور التي تضاف إلى أنواع المقاييس. ولمّا كانت الأشياء المركّبة يلزم منها

ضـرورة متى قصـدنا إلى معرفتها أن تتقدّم لنا المعرفة بالأشـياء التي عنها تركّبت، وكانت المقاييس مركّبة عن مقدّمات، لزم ضـــرورة إن كان قصـــدنا معرفة أمور المقاييس أن نتقدّم فنعرف قبل ذلك أمور المقدّمات. ولمّا كانت المقدّمات أيضـــا مركّبة عن المعقولات المفردة، لزم ضـــرورة أن تتقدّم لنا معرفة أمر/ المعقولات المفردة. ولمّا كانت هذه لا تنقسـم إلى معقولات أخر، لم يمكن أن يكون في هذه الصـناعة شـــيء أسـبق من المعقولات المفردة. فقد ظهر بهذا القول أجزاء هذه الصـناعة ومراتب أجزائها. وليس يعسـر عليك أن ترتّب كلّ جزء من هذه في المواضع الأليق به من الصناعة.